"رسائل النور" لأستاذ بديع الزمان النورسي

(تفاسير للقران الكريم)

THE RISALE-I-NUR BY BADIUZZAMNA SAID NURS (Interpretation of the Holy Quran)

– د. معراج أحمد معراج الندوي*

ABSTRACT:

The Quran is the central sacred reality of Islam. The Quran is the source of true progress and development. The Quran addresses all human kind in every age in accordance with degree of their understanding and development; The Risale-i-Nur explains that face of the Quran which looks to this age. The Risale-i-Nur, as contemporary commentary on the Quran's message by Badiuzzamna Said Nursi offers a numerous solutions to many problems facing by human kind in modern day. Its method is based on acquiring knowledge and harnessing it in the best of ways; that is as a means of attaining to belief by investigation. The Risale-i-Nur explains that face of the Quran which looks to this age. The Risale-i-Nur, being a Quranic commentary which expounds all its verses giving the immediate reasons for their revelation and the apparent meanings of the word and sentences. This provided a strong argument for the relevance of Islam in the cotemporary world. Nursi points outs the contrast between the social values proposed by the modern civilization and the vision of society presented by the Quran. He envisioned that in contradiction to other religion, only Islam has capacity to progress. The aim of this paper is to discuss the Nursi approach who calls to the real intellectual revolution that is based on the principles of the Holy Quran.

KEYWORDS:*"*Risale-I-Nur",Badiuzzamna Said Nurs, Interpretation,Holy Quran

الكلمات المفتاحية: "رسائل النور" ، بديع الزمان النورسي، تفاسير، للقران الكريم

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة العالية، كولكاتا، بنغال الغربية، الهند

الملخص:

كان الأستاذ النورسي دائم التفكير في وسائل الاحتفاظ بعقيدة الجيل الجديد وإيمانه، وترسيخ أهيمته وضرورته في الأذهان والنفوس. كان القرآن الكريم هو شغله الشاغل طوال حياته. فلم يعيش إلا في ظل القرآن ولم يتنفس إلا في أجواءه ولم يفكر إلا في أضواءه. فقصد الأستاذ بديع الزمان النورسي أن تكون "رسائل النور" تفسيرًا توضح وتبين معاني القرآن الكريم مباشرة على أساس الدلائل والبراهين. فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم. يبين الأستاذ النورسي أن المقاصد الأساسية من القرآن الكريم وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة. وإن هذه المقاصد الأربعة تتجلى في القرآن الكريم كله سورة سورة، وفي كل كلام بل قد يرمز إليها كلمة كلمة. رغم أن رسائل النور تبحث موضوعًا أساسيًا واحدًا وهو الإيمان فإنها لا تبحث عن هذه المسألة العزيمة بأسلوب تقليدي على وتيرة واحدة، بل إن الأسلوب يتغير حسب المواقف والموضوعات. إن رسائل النور ليست رسائل اعتيادية لشرح مفاهيم الإسلام فحسب، وإنما هي تفسير قيم للقرآن الكريم بل هي تفسير يتصف بعدة خصائص مهمة جدًا. لا نجد مثل هذا في غيرها من التفاسير وبالأخص في عصرنا هذا.

مدخل: إن "رسائل النور" من أهم أعمال الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي العلمية وثقافته الرصينة. وهذه الرسائل قد تنوعت في موضوعاتها وتستمد أصولها ومسالكها من فهم دقيق للإسلام. وإن رسائل النور تقسير للقرآن مع أنها لا تشبه التفاسير المتداولة لأن التفاسير المعروفة تبين وتوضح معاني عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته. ولكن رسائل النور هي تفسير معنوي للقرأن الكريم.

رسائل النور: عندما بدأ الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي كتابة رسائل النور فما كان عنده أي مصدر سوى القرآن الكريم. فكان يستلهم من الآية الكريمة معانيها. ويعيش حالات قلبية وروحية خالصة في أجوائها حيث يقول "فالقرآن هو أسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن الكريم واعتصمت به واستمددت منه. فاستعدادي الناقص قاصر من أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا أن نبين ذلك الفيض. وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال. فالكمات والأنوار المستمدة من القرآن الكريم في رسائل النور إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضًا مسائل قلبية وروحية وأحوال إيمانية. فهي بمثابة علوم إلهية نفسية ومعارف ربانية سامية."[١] فكان الأستاذ النورسي يعتبر الرسالة هبة ربانية وإنعامًا إلهيًا وإحسانًا وفضلًا منه.

الأستاذ النورسي كمفسر القرآن الكريم:

من الملامح البارزة لشخصية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي – رحمه الله- فكره العميق المتزن، وجمعه بين الأصالة والمعاصرة، ومنهجه في الفكر والدعوة، منهج الاعتدال والوسطية، وخدماته العظيمة المتنوعة، ومواقفه الحازمة الحاسمة تجاه القضايا والمشاكل. ومن أهم ميزاته أنه كان يحمل قلبًا واعيًا، وبصيرة نيرة نافذة، وفراسة إيمانية، وفكرة وقادة. كان له الحظ الأوفر من المعرفة، والإحسان والسلوك وصدق العزيمة، وإخلاص العمل، والخلق الحسن. وهي الميزة الممتازة التي جعلته مقبولًا لدى سائر الناس. كان الأستاذ النورسي دائم التفكير في وسائل الاحتفاظ بعقيدة الجيل الجديد وإيمانه، وترسيخ أهيمته وضرورته في الأذهان والنفوس. كان القرآن الكريم هو شغله الشاغل طوال حياته. فلم يعيش إلا في ظل القرآن ولم يتنفس إلا في أجواءه ولم يفكر إلا في أضواءه.

أستاذية القرآن الكريم: إن القرآن الكريم كان هو وحده الأستاذ والمرشد للشيخ بديع الزمان سعيد النورسي. فلم يراجع إلى أي كتاب آخر، ولم يتخذ غيره مصدرًا ولم يسترشد دونه مرشدًا. عكف الأستاذ طوال حياته في تدبره وتفكره. ولم يعتمد علي أي كتاب سوى القرآن الكريم. فالقرآن هو المصدر الأول لأفكاره.

فلقد أخذ الأستاذ بديع الزمان عن جدارة فائقة بناصية العلوم كافة في زمانه حتى لقب بـ"بديع الزمان". وهب الله سبحانه وتعالى ذكاءًا خارقًا وعقلًا نيرًا وعناية ربانية. فحرص الأستاذ في رسائل النور على إبراز الحقائق القرآنية فلم تختلط فيها الأهواء والرغبات لما رزقه من الإخلاص التام وشغفه الشديد. فلا توجد في رسائل النور صبغة شخصية وإنما صبغتها القرآن والقرآن وحده.

من خصائص رسائل النور:

التفسير هو إيضاح وبيان وإثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتًا مدعمًا بالحجج الرصينة والبراهين القاطعة. فقصد الأستاذ بديع الزمان النورسي أن تكون "رسائل النور" تفسيرًا توضح وتبين معاني القرآن الكريم مباشرة على أساس الدلائل والبراهين. فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم بحيث ابهرت الفلاسفة وأعجزتهم.[٢] ويعيد المؤلف هذا المعنى إلى الأذهان أن رسائل النور تفسير للمعاني المعجزة التي أتى بها القرآن الكريم. وهي نور مستفاض من الآيات القرآنية ولم تستق من علوم الشرق والغرب بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم. فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والشكوك حيث توضح الحقائق الإيمانية

بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة. إذ أصبحت رسائل النور ضرورة كضرورة الخبز والدواء.[٣]

فكل من يقرأ رسائل النور يشعر بالمعاني الدقيقة في القرآن الكريم ويعيش في أجوائه المباركة المتمخضة من القرآن الكريم بعد أن تهدم الخرافات والأفكار الباطلة والتصورات الخاطئة في المجتمع. كل هذا مع إشباع بروح وشفافية في اختيار الكلمات والعبارات، وإطلاق للخيال في مجالاته وإشراق لروح الأمل وإثارة لكوامن التأمل والتفكير. عرض المؤلف الموضوع بشكل سؤال وجواب لإثارة الانتباه وتحفيز التفكير. استلهم موضوع كل رسالة من آية أو عدة آيات تتصدر الرسالة ثم استهل بمقدمة مركزة تلخص الموضوع ثم تتدرج في الموضوع توضيحًا وتبسيطًا مع ضرب الأمثال لعرض الفكرة. ولا يخفى ما لضرب الأمثال من أهيمة في تقريب المفاهيم وتبسيطها وغرسها في الذاكرة بحيث إن الموضوع يمكن أن يستحضر في أذهان الناس. فالقرآن الكريم والحديث النبوي قد ضربا أمثلة كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لإفهام الإنسان. وحيث أن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم ، فإنها كذلك أوردت كثيرًا من الأمثال حتى أصبحت الأمثال طابعها المميز.[٤]

مقاصد القران الكريم في رسائل النور:

يبين الأستاذ النورسي أن المقاصد الأساسية من القرآن الكريم وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة. وسبب حصرها في هذه الأربعة هي ما يشغل هذا الإنسان من أسئلة معروفة: من أين؟ إلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ ثم يقول: والمجيب على هذه الأسئلة الجواب الصحيح ليس إلا القرآن ذلك الكتاب، وأن هذه المقاصد الأربعة تتجلى في القرآن الكريم كله سورة سورة، وفي كل كلام بل قد يرمز إليها كلمة كلمة.[٥]

حكمة التكرار في القرأن الكريم في ضوء رسائل النور:

اهتم الأستاذ النورسي بمسألة التكرار في القرآن الكريم. وأجاب النورسي عن وجود أشياء مكررة بالكثرة في القرآن الكريم الموجز مع أنه معجز، مثل البسملة وتكرار الآيات مثل "فبأي آلاء ربكما تكذبان" وقصة موسى مع أن التكرار ممل وينافي البلاغة . فتبريرا لهذ التكرار يقول الأستاذ النورسي أن التكرار مستحسن حسب الضرورة ومقتضيات الزمان والمكان.

ماهية الإعجاز عند النورسي:

إن القرآن قد جاء لمقاصد كثيرة، منها إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأكمل معجزاته وأن دلائل

نبوية كثيرة في القرآن. ومن أهمها إعجاز القرآن. جاء الأستاذ النورسي بدلائل كثيرة حول هذا الموضوع. ومن إيحاءات الخطابات والقصص ومن واقع النبي صلى الله عليه وسلم وتأثيره في أمة أمية فحولها إلى أمة حضارة وعلم وفكر.[٦] كذلك بين الأستاذ النورسي أن الشريعة الإسلامية مبنية ومؤسسة على البرهان العقلي. ملخصه من علوم وفنون تضمنت جميع أنواع العلوم الأساسية التي تحتاجها البشرية من فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب، وعلم تربية الوجدان، وفن تدبير الجسد، وفن سياسة المدنية، والحقوق وعلم المعاملات والآداب. إن العرب كان ديوانهم الشعر وعلمهم البلاغة ومفاخرتهم بالفصاحة. فلما طلع عليهم القرآن ببلاغة بهرتهم. فلولا أنهم أرادوا ودربوا أنفسهم فأحسوا بالعجز فسكتوا عن المعارضة. فعجزهم دليل إعجاز القرآن.

أسلوب بديع الزمان النورسي في رسائل النور:

وقد كان له رحمه الله منهج واضح في العلم والعمل. استخلصه من خبرته في الحياة وتقبله بين الأفكار المتداولة في عصره، ومن مجاهداته في مواجهة قضايا الحياة وخطوب الزمان، ومن إدمانه على تدبر القرآن الكريم. وهذا المنهج واضح من خلال "رسائل النور" التي أودعها خلاصة تجربته في تدبر القرآن الكريم وتنزيل هدية على أحوال الحياة المتجددة. رغم أن رسائل النور تبحث موضوعًا أساسيًا واحدًا وهو الإيمان فإنها لا تبحث عن هذه المسألة العزيمة بأسلوب تقليدي على وتيرة واحدة، بل إن الأسلوب يتغير حسب المواقف والموضوعات. فنجد فيها الأسلوب اللين الرقيق جدا حتى نشعر أنه همسات قلب أو أنفاس رقيقة حية. ثم نجد الأسلوب العلمي الدقيق والعبارات المنطقية الفطرية مما يدعو إلى الفكر والدعوة. يتغير الأسلوب من موضوع إلى آخر حسب المخاطب. فترى رسالة "النوافذ" مثلًا تخاطب الملحدين والمؤمنين معا بينما رسالة "المعراج" تخاطب المؤمنين. فلنستمع إلى ما كتبه الأستاذ النورسي في مقدمة رسالة المعراج لهذا النمط من الأسلوب "أن مسألة المعراج نتيجة تترتب على أصول الإيمان وأركانه، فهي نور يستمد ضوءه من أنوار الأركان الإيمانية. فلا تقام الحجج لإثبات المعراج بالذات للملحدين المنكرين لأركان الإيمان، بل لا يذكر أصلًا لمن لا يؤمن بالله جل وعلا ولا يصدق بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أو ينكر الملائكة والسموات، إلا بعد إثبات تلك الأركان لهم مقدمًا، لذا سنجعل المؤمن الذي ساورته الشكوك والأوهام فاستبعد المعراج، موضع خطابنا، فنبين له ما يفيده ويشفيه بإذن الله. وكي نلحظ بين آونة وأخرى ذلك الملحد الذي يترقب في موضوع الاستماع ونسرد له من الكلام أيضًا ما يفيده. ولقد ذكرت لمعات من حقيقة المعراج في رسائل أخرى، فاستمددنا العناية من الله سبحانه وتعالى— مع إصرار أخوتي الأحبة- على جمع تلك اللمعات المتفردة وربطها مع أصل

الحقيقة نفسها لجعل مرآة تعكس دفعة واحدة كمالات جمال الرسول صلى الله عليه وسلم"[٧].

ومن الحقيقة أنه رغم الترابط الوثيق بين فقرات البحث في كل الرسائل، فإن كل فقرة منها تعطينا معنى كاملًا بحيث نستطيع أن نفهم ونستفيد منها بدون الرجوع إلى أصل الموضوع. إن القرآن الكريم له أسلوب خاص في سرد الحوادث. فإن الأستاذ بديع الزمان النورسي لا يتقيد بالتسلسل الزمني وإنما يذكر جزء من الحادثة أو القصة في سورة والجزء الآخر في سورة أخرى حسب سياق السورة وموضوعاتها. فيشعر كل من يقرأ الرسائل كأنه يقرأ السيرة والتاريخ الإسلامي وفق المنهج القرآني. ولا شك أن هذا هو المطلوب من دراسة التاريخ.

رسائل النور كتفسير القران الكريم:

إن رسائل النور قامت بحل مشاكل والقضايا والعاصرة التي تواجهها الأمة الإسلامية في كل مع تنوع الأجواء والأوضاع الساسية والاجتماعية. وقال إن الحل الوحيد هو التمسك بالقرآن الكريم واتباع الشريعة الإسلامية. فيقول الأستاذ النورسي: "إن رسائل النور قد حلت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقران الكريم ووضحتها وكشفتها والجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم. وأثبتت كالشمس ما كان يظن بعيدًا عن العقل كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني للمعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان. ولا بد أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل".[٨] تدعو رسائل النور إلى نصيب ميزان العدالة الإلهية الذي يزن به الله سبحانه وتعالى أعمال المكلفين يوم الحشر وإلى إقامته في الدنيا. واالذي يواظب على دراسة رسائل النور فهو يجد في نفسه كلًا من غذاء روحية وعقلي وسعة في الخيال و روحانية قرآنية. نقدم الاقتباس: "إن رسائل النور تحاول أولًا إقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين. فلذلك الدرس الذي أقنع نفس المؤلف الأمارة بالسوء إقناعا كافيا وتمكن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أي يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة – بتشكلاتها الجماعية المنظمة- بل أن يجابهما ويتغلب عليها."[٩]

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ مشعان سعود عبد: "أكد الأستاذ سعيد النورسي في غير موضع من رسائل النور أن في القرآن الكريم كل ما يطلب، والإقبال عليه بإخلاص يكشف الأسرار والكنوز بطريق لا تتصور وبغزارة لا حد لها، ويطلب ببركته قضاء حاجاته كلها حتى الدنيوية منها ويحصل له مطلوبه".[١٠]

ملخص البحث:

توصلنا في هذه الدراسة أن رسائل النور تفسير لمعاني القرا الكريم وهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد والمجتمع. وهي تخلق تصورات إيمانية جديدة وتحث على التفكير والتدبير في الكون والحياة. تهدم رسائل النور التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف وتتحدى على الأفكار الباطلة. تدور رسائل النور حول معاني التوحيد وصدق النبوة وعدالة الشريعة بدلائل متنوعة. إن رسائل النور ليست رسائل اعتيادية لشرح مفاهيم الإسلام فحسب، وإنما هي تفسير قيم للقرآن الكريم بل هي تفسير يتصف بعدة خصائص مهمة جدًا. لا نجد مثل هذا في غيرها من التفاسير وبالأخص في عصرنا هذا. فهذه الخصائص البارزة التي تتصف بها رسائل النور وجعلتها بحق تفسيرغا للقرآن الكريم وهذه هي الصفات التي تحلى بها مؤلف هذه الرسائل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي – رحمه الله أهلته ليكون مفسرا للقرآن الكريم وأن يتولى مهمة الريادة والإمامة في هذا المضمار.

المراجع والمصادر

[١] المكتوبات ، ص ٤٥٧-٤٥٩

[٢] نفس المصدر ص ١٠٩

[٣] نفس المصدر ص ١٣٠

[٤] نفس المصدر ص ١٢٧

[٥] نفس المصدر ص ١٣٧

[٦] إشارات ص٢١٤

[٧] نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: احسان قاسم الصالحي ،ص ١١٢

[٨] الملاحق- قسطموني ١٠ نقلا عن نظرة عامةحياة بديع الزمان سعيد النورسي: احسان قاسم الصالحي ،ص ١٢١

[٩] نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي : احسان قاسم الصالحي، ١٢٩

[١٠] الملاحق –أمير داغ/٢٤٨ نقلا عن نظرة عامةحياة بديع الزمان سعيد النورسي: احسان قاسم الصالحي ،ص ١١٠